

أثر طرائق التدريس في نقاوة اللغة العربية ودوامها

م.م عبد الحسين أحمد الخفاجي
جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

المقدمة

اشتهر العرب بالكلام والسيف ، وأجادوا تنميق الحديث والبراعة فيه ، ولم يكن للحن أثر يذكر قبل أن تقعد قواعد النحو وضبط الكلام . كانت حياتهم سهلة جداً وساذجة إلى أقصى حدود الساذجة . فلا يوجد عمل لهم سوى رعي الإبل والإشراف عليها ، وهذا العمل لا يتطلب بذل طاقة متميزة ، ولذلك عهد إلى الأحداث في الغالب ، أما الرجال ، فلم يكن لهم عمل يستنزف وقتهم ، لذلك كان معظم وقتهم يقضوه جلوساً يتبادلون الحديث ويتبارون في صياغته وبلاغته فبرعوا في ذلك أيما براعة .

ومن أبرز أنواع الحديث الشعر الذي كان ديوانهم وميداناً لتباريهم فأنتجت لنا كنوزاً قيّمة كالمعلقات السبع أو العشر بما حوته من الإتقان والسحر والعذوبة والفصاحة والبلاغة .

وبقت اللغة العربية نقية داخل هذه الدائرة فوق الرمال الصفراء المفتوحة المشعة بالصفاء والنقاء مظلة بزرقه السماء وتألؤ نجومها فكانت معيناً توافر على لسان فصيح أمطر الإنسانية بغيث من المباني والمعاني حتى بعث الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعجز سادة الكلام بكتابه الكريم وآياته البيّنات وصار القرآن سداً منيعاً أمام سريان اللحن إلى هذه اللغة بعد أن توسع الإسلام ليبسط جناحيه يميناً وشمالاً ، وعلى الرغم من عظم هذا السد المنيع إلا أن اللحن دبّ شيئاً فشيئاً إلى اللسان العربي مما حدا بأفذاذ اللغة أن يشمروا عن سواعدهم ليضعوا قواعداً للنحو لبواعث عدة ، ((منها الديني ومنها غير الديني ، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصةً بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة ،

وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ((^(١)) ، وروى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع رجلاً يلحن في كلامه ، فقال : ((أرشدوا أخاكم فإنه ضلَّ)) ((^(٢)) والبواعث غير الدينية (بعضها قومي عربي ، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازاً شديداً ، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم) ((^(٣)) ، فضلاً عن البواعث الاجتماعية التي (ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلاً مستقيماً ، وتتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً) ((^(٤)) فضلاً عن (رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمواً أعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلاً تطرد فيه القواعد وتتظم الأقيسة انتظاماً) ((^(٥)).

لقد أخذ العلماء على عاتقهم عقد حلقات الدرس لصيانة اللّغة من اللّحن ونشر الثقافة الإسلامية والعلوم العربية متخذين من المساجد والمكتبات مدارس أنتجت لنا مناراتٍ للعلم أصبحوا سراجاً لنا وللأجيال بما رشح من أقلامهم لألئ صارت عقداً زانت به المكتبة الإسلامية ، ومصدراً غنياً لا ينفد للباحثين والدارسين والمعلمين والمتعلمين . ونشأت المدارس في بلدانٍ كثيرة كالبحر ، والكوفة ، وبغداد ، ومصر ، والأندلس ، والحجاز ، واليمن ، والشام ، والمغرب العربي . وتأتي أهمية البحث من أهمية اللغة العربية ، وأثر طرائق التدريس وما أسهمت به من جهد ببناء في الحفاظ على نقاوة اللغة العربية ؛ لأنها مكنت علماء اللغة من نشر الثقافة والعلوم بالتعليم المصغر في حلقات الدرس وما أملوه في أماليهم بطريقة النص وطرائق التدريس الأخرى التي أتقونها، فحققوا الاستدامة لهذه اللغة خلال القرون التي طرزت تاريخاً عميقاً تجاوز الـ (١٥٠٠) عام مما أعطى

(١) المدارس النحوية ، لشوقي ضيف ، ص : ١١ .

(٢) كنز العمال ، للمتقي الهندي ، ج ١ ، ص : ١٥١ .

(٣) المدارس النحوية ، لشوقي ضيف ، ص : ١٢ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

للغة خصائص انفردت بها عن باقي اللغات الجزرية كاللغة العبرية ، واللغات السنسكريتية كاللغة الهندية ، و اللغات الهندوأوربية كاللغة الإنكليزية والفرنسية .

واقترضت منهجية البحث تقسيمه على النحو الآتي : .

- ❖ المبحث الأول : اللغة العربية ومدارس النحو.
- ❖ المبحث الثاني : طرائق التدريس المعتمدة في حلقات الدرس .
- ❖ المبحث الثالث : أبرز مخرجات حلقات الدرس من الأعلام والمؤلفات .
- ❖ الخاتمة : وتضمنت خلاصة مختصرة لمضمون البحث .
- ❖ ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدت في كتابة البحث .

المبحث الأول

اللغة العربية ومدارس النحو

تعد اللغة العربية (الأمتن بين اللغات والأوفر بياناً والأعذب مذاقاً والأمد رواقاً ، ولهذا اختارها الله سبحانه وتعالى لأشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من بريته ، وجعلها لغة أهل سمائه وسكان جنته ، وأنزل بها كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (١) . وهي من أكبر لغات المجموعة الجزرية بعدد متحدثيها ، ومن إحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم (يتحدث بها أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة) (٢) وقد لمس بعض المستشرقين النواحي الفنية لغة العربية وسرها الأخاذ في التأثير على الشخصية العربية وتوجهاتها الفكرية واعتزاز العرب بلغتهم ، وفي هذا الصدد يقول المستشرق رفائيل : (ففي الأقطار العربية ، يوجد حالياً شعور عام بكونها أمة واحدة ، هي الأمة العربية ، بغض النظر عن الوحدات السياسية الناشئة عن تجزئة هذه الأمة الواحدة ، وهذا لا يعني بالطبع بأنه لا توجد اختلافات أو خصومات واتهامات حادة بين الأقطار العربية ، ولكن حتى في ضباب الحروب الطاحنة ، تلك الحروب التي يقتل فيها الأخ أخاه ، يشعر العرب بأنه ، مهما كان النزاع مؤلماً ، فإنه لا يعدو كونه خلافاً وقتياً وستتم تسويته عاجلاً أم آجلاً ، وحتى إذا استمر ذلك النزاع لفترة طويلة ، وبأية طريقة كانت ، فإنه لن ينتهك مبادئ الأخوة العربية والمثل الأعلى للوحدة القومية العربية الشاملة ، وليس هناك شك في أن اللغة العربية هي العامل الفعال في كل من إنشاء وإدامة هذه الأسطورة المهيمنة للأمة العربية) (٣)

والعربي يحب لغته إلى درجة التقديس ، ويعد السلطة التي لها عليه تعبيراً ليس فقط عن قوتها بل عن قوته هو أيضاً . ف ((العربي حيوان فصيح فبالفصاحة وليس بمجرد العقل تتحدد هويته ، ومن الناحية التاريخية ، فإن أول عمل علمي منظم مارسه العقل العربي هو جمع اللغة العربية ووضع قواعد لها . وقد جمعت مادتها في عصر التدوين من أفواه الأعراب الذين بقوا إلى ذلك العصر منعزلين لم

(١) صبح الأعشى ، للقلقشندي ، ج ١ ، ص : ١٨٣ .

(٢) موسوعة اللغات العراقية ، لسليم مطر ، ص : ١٣٣ .

(٣) رفائيل باتاي ، ص : ٧٧ .

يتعكر صفو لسانهم بالاختلاط مع سكان المدن والحضر ((^(١) ، كما أن التاريخ يحدثنا (أن بعض الأعراب قد احترقوا ببيع بضاعتهم من الكلام ، وأن بعضهم الآخر رحلوا إلى البصرة أو الكوفة للإقامة فيها كرواة للغة كبائعين للكلام)^(٢) .

وإذا عدّ أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩ هـ هو أول من تصدى للحن فقد روي عنه أنه قال : ((دخلت على أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فرأيته مطرقاً مفكراً ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ((إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية)) . فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة . ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبا عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل)) . ثم قال : ((تتبعه وزد فيه ما وقع لك . واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر)) . قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها : إِنْ وَأَنْ وَلَيْتَ وَلَعَلَّ وَكَأَنَّ ، ولم أذكر لكنّ فقال لي : ((لم تركتها ؟)) . فقلت لم احسبها منها . فقال : ((بل هي منها ، فزدها فيها)) ((^(٣)

ونشأت مدارس تعليمية عجت بالتلاميذ من الشيوخ والشباب لتعلم القراءات القرآنية وضبطها ، وتعلم اللغة العربية وعلومها من النحو ، والصرف ، والإملاء وغيرها ، وبرز المدارس كانت مدرسة البصرة والكوفة (فقد اشتركا في القراءة والإقراء ، ووجد فيهما شيوخ للإقراء ، واشتركا في دراسة الأحكام روايةً واستنباطاً ، ووجد فيهما محدثون وفقهاء ، واشتركا في رواية اللغة والشعر ، ووجد فيهما نقدة

(٢) العقل في المجتمع العراقي بين الأسطورة والتاريخ ، لشاكر شاهين ، ص : ٣٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(١) الأمالي ، للزجاجي ، ص : ٢٣٨ . ٢٣٩ .

شعر ، ومصححو لغة ، واشتركوا في البحث في علل التأليف ، ووجد فيها نحاة يعنون باستخراج قواعد اللغة وأصولها) (١)

ونشأت هذه المدارس في مراكز للثقافة كانت إشعاعاً فكرياً وحضارياً اختلطت فيها الأفكار العربية الإسلامية بالحضارات الأجنبية ، وأصبحت الثقافة فيها مزيجاً غلب عليه الطابع العربي الإسلامي بفضل القرآن ، والحكم العربي .
وابرز هذه المراكز كانت في البصرة والكوفة وعلى النحو الآتي : .

المراكز الثقافية في البصرة

اشتهر في البصرة مركزان ثقافيان هما : .

١. **المسجد الجامع** : أسسه عتبة بن غزوان عند تمصيره البصرة ، وكان وسط المدينة تحيط به الدور والأحياء والسكك . يجتمع فيه أهل المصر لأداء فريضة الصلاة وليتباحثوا في أمور دينهم ودنياهم ويعقدوا فيه الاجتماعات العامة التي يدعو إليها الخليفة ولاته عند إعلان الجهاد ، ثم أصبح مجمعاً للعلماء والفقهاء والمحدثين والمقرئين والقصاص واللغويين وفيه تعقد مجالس الدرس وحلقات الشيوخ التي كان من أشهرها :
 - ❖ مجلس الحسن البصري (ت ١١٠هـ) .
 - ❖ مجلس واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) .
 - ❖ مجلس حماد بن سلمة (ت ١٦٥هـ)

٢. **المريد** : كان المرید سوقاً بظاهر البصرة ومناخاً للإبل ، وكان يسمى ((سوق الإبل)) وكان شبيهاً بسوق عكاظ الذي كان أصله سوقاً لتبادل السلع ، ثم أصبح مقصد القبائل العربية يجتمعون فيه . وقد أصبح المرید بعد تمصير البصرة مثابة للخطباء والشعراء من البادية والحاضرة يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم ومآثرهم ، ولم يكن هؤلاء الشعراء ممن يقيمون في الحاضرة وإنما كانوا أعراباً ، فمقام الفرزدق (ت بعد ١١٠هـ) بادية البصرة

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ، لمهدي المخزومي ، ص : ٢٠ . ٢١ .

، ومقام جرير (ت بعد ١١٠ هـ) ، بادية اليمامة ، والأخطل (ت ٩٣ هـ) ،
بادية بني تغلب .^(١)

المراكز الثقافية في الكوفة

وكان في الكوفة يومذاك مراكز ساعدت على نشر الثقافة ونموها وازدهارها فقهية كانت أو لغوية أو أدبية أو نحوية ، وقد كانت بداية العلم والتعلم في الكتابيب التي تعلم القراءة والكتابة والقرآن ثم تعلم اللغة والنحو والصرف وعلوم الأدب للصبيان خاصة . وكان الدارس فيها ينتقل بعدها إلى احد المراكز الثقافية الأخرى التي كانت منتشرة في هذا المصر الإسلامي ، والتي كان من أشهرها :

❖ **مسجد الكوفة** : وكان من اكبر معاهد العلم فيها ، فلم يكن يتخذ للعبادة

وإقامة الصلاة وإلقاء الخطب حسب ، وإنما كان مركزاً للعلوم المتنوعة تعقد فيه حلقات لتعليم القرآن وقراءاته وتفسيره وفقهه ودرسه والقصاص والوعاظ والفقهاء منذ العهد الأموي ، ولما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت حلقات الدرس فيه واستمرت حلقات إقرأ القرآن ودراسة قراءاته والتفقه في آياته وأحكامه ، وحلقات الحديث وروايته وعلم رجاله ، ونمت حلقات الدرس الأدبي واللغوي والنحوي فكان للفراء حلقة ، وللشعراء والأدباء اجتماعات يروون فيها الشعر وينشدونه ، حدث الزبيدي قال : إن الفراء أملى على أصحابه كتاباً في القرآن في المسجد في ألف ورقة .

❖ **دور الخلفاء والأمراء والوزراء والأغنياء** من أهل الكوفة التي كانت مركزاً

لنشر العلوم والثقافة على اختلاف علومها المعروفة يومذاك . وكان المؤدبون أمثال أبي معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي (ت ١٦٤ هـ أو ١٧٠ هـ) من الذي شاركوا في هذا النوع من التعليم .

❖ **مجالس المناظرة** : كان لمجالس المناظرة التي يتهاى لها المتناظرون سواء

أكانوا فقهاء أم شعراء أم نحاة أم لغويين أكبر الأثر في نشر الثقافة على اختلاف علومها ، وأشهرهم أبو جعفر الرؤاسي (ت ١٩٠ هـ) .^(١)

(١) المدارس النحوية ، لخديجة الحديثي ، ص : ٢٨ . ٣٠ .

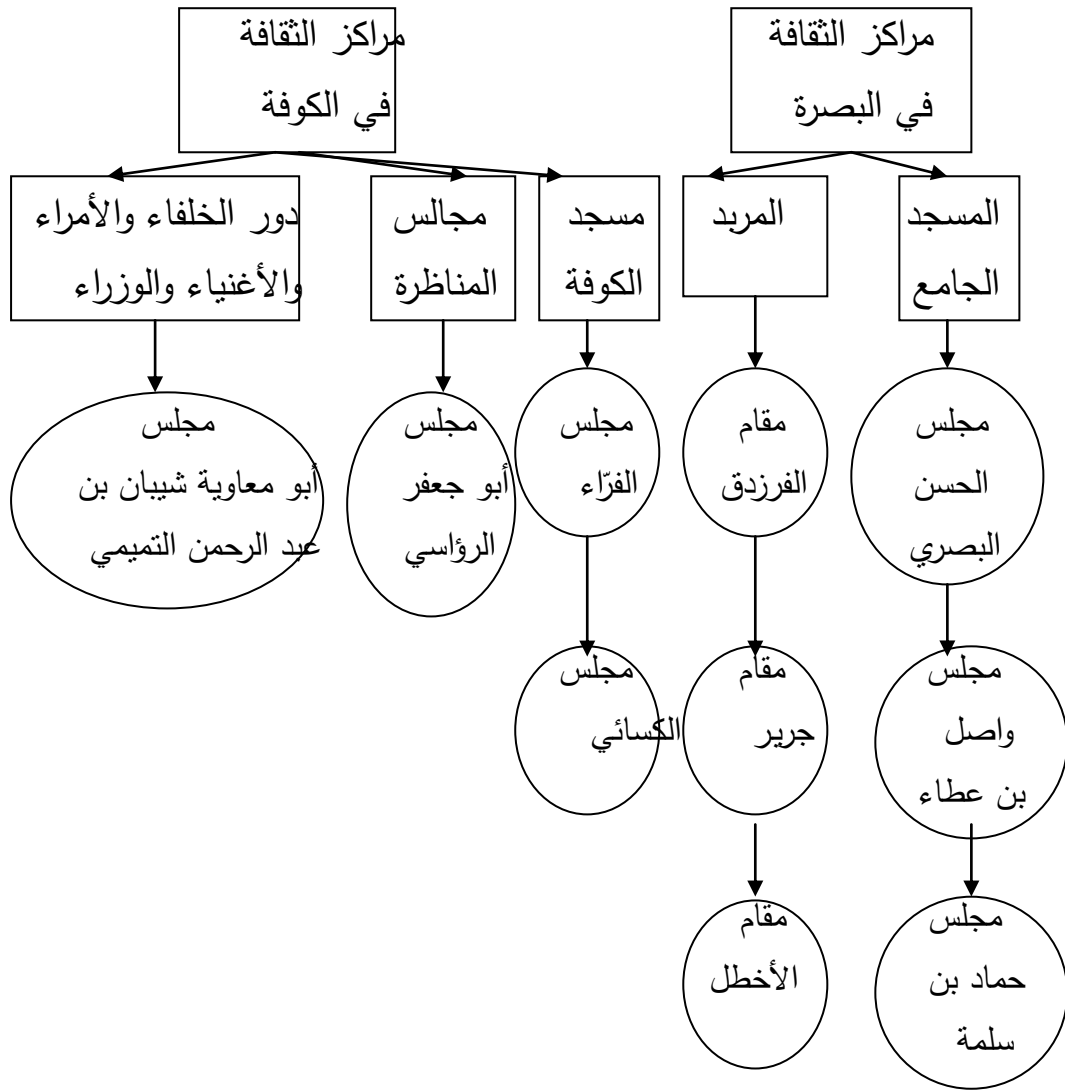
ولعل ما حدث في مجلس آل برمك من مناظرة بين الكسائي وسيبويه في المسألة المشهورة : ((قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فإذا هو هي ، أو فإذا هو إيّاها)) انتهت بإخفاق سيبويه كان امتداداً لذلك التنافس الذي كان يحدث بين وفود الكوفة والبصرة في مجالس الخلفاء قبل تمصير بغداد . ثم تبعت هذه المناظرة مناظرات أخرى بين كوفيين استقروا في بغداد ، وبصريين رغبوا في الاستقرار فيها . كالمناظرة التي جرت بين الكسائي وأبي محمد اليزيدي في مجلس الرشيد ، والمناظرة بين الأصمعي البصري ، وأبي عمرو الشيباني الكوفي ، والمناظرة بين الكسائي والأصمعي ، والمناظرة بين الأصمعي والفراء ، والمناظرة بين ثعلب والمازني ، والمناظرة بين ثعلب والرياشي ، والمناظرات التي جرت بين ثعلب والمبرد في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر إلى غيرها من المناظرات التي جرت بين بصريين وبغداديين (٢) .

والشكل (١) يوضح هذه المراكز الثقافية وما كانت تعج به من مجالس للدرس وحلقاته التي ضمت أفاض اللغة ، والنحو ، والأدب ، والفقهاء ، والتفسير والرواية ، والإقراء وغير ذلك من العلوم والفنون .

الشكل (١)

المراكز الثقافية وأشهر المجالس والمقامات فيها*

-
- (١) المدارس النحوية ، لخديجة الحديثي ، ص : ١١٣ . ١١٥ .
(٢) الدرس النحوي في بغداد ، لمهدي المخزومي ، ص : ١٢ . ١٣ .
* استقيت معلومات هذا المخطط من المدارس النحوية لشوقي ضيف وخديجة الحديثي ومدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو لمهدي المخزومي .



المبحث الثاني

طرائق التدريس المعتمدة في حلقات الدرس

أُعْتُمِدَتْ أكثر من طريقة من طرائق التدريس في مجالس الدرس وحلقاته في المراكز الثقافية التي عرجنا عليها في المبحث الأول وكان التعليم المصغر هو أبرز

أنواع التعليم يومذاك ، إذ كانت حلقات الدرس عبارة عن حلقات للتعليم المصغر يتراوح دارسوه بين الخمسة دارسين إلى الخمسة عشر دارساً على ما يتصوره الباحث ؛ لأن وجود أكثر من حلقة داخل المسجد يفسر هذا التصور ، فضلاً عن قلة الإشارات التي أشرت لبعض الحلقات الكبيرة التي كانت تعقد في المساجد لاسيما المساجد الكبيرة منها ، إذ كان الفراء إذا جلس للإملاء في النحو والتفسير اجتمع إليه من الدارسين خلق كثير ، وعندما ابتدأ يملي كتاب معاني القرآن ((وكان وراقه سلمة وأبو نصر ، قال : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يضبط . قال : فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً))^(١) ، ويروي ابن الجزري: (أن الكسائي كان أوجد الناس في القرآن ، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم في مجلس ، ويجلس على كرسي ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ)^(٢) . وهذا يؤيد رأي الباحث بأن هناك حلقات لتعليم مصغر تجمع أحياناً هذه الحلقات لمجلس كبير لدواعي يراها المعلم كما اتضح في الرواية السابقة .

وتأتي أهمية طرائق التدريس من كونها أساسية لكل من المعلم والمتعلم والمنهج ، فبالنسبة للمعلم تعد الطريقة هي مفتاح تحقيق أهداف درسه ، وضابطاً منتجاً لجهده ووقته فضلاً عن تنفيذ خطة درسه بشكل فعال ؛ ولأن المادة التي كان يدرسها هؤلاء الأعلام متنوعة تشمل الإقراء والفقهاء والنحو والحديث ، فبكل تأكيد استخدموا عدة طرائق للتدريس في الدرس الواحد ، و((أن المتصفح للأدب التربوي قديمه وحديثه يجد أن التربويين والمهتمين بالمناهج وطرائق التدريس أفاضوا في تصنيف طرائق التدريس في ضوء مواقف تعليمية متنوعة ، ومن هذه الأنواع ما يأتي . :

تصنيف الطرائق بحسب مهمة المعلم أو المتعلم أو كليهما .

❖ طرائق يكون فيها الجهد للمعلم (الإلقاء . المحاضرة ...)

(١) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ج١٤ ، ص : ١٥٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، ج١ ، ص : ١٣٨ .

❖ طرائق يكون فيها الجهد للمتعلم (التعلم الذاتي . التعليم المبرمج . الحاسوب ...)

❖ طرائق يكون فيها الجهد للمعلم والمتعلم (الحوار . المناقشة . الاستقراء ...)
(1) ((

ويستنتج الباحث أنّ مجالس الدرس في هذه المراكز طَبَّقَ فيها المدرسون الطرائق الآتية : .

❖ طريقة الإلقاء .

❖ طريقة المحاضرة .

❖ طريقة الحوار .

❖ طريقة المناقشة .

❖ طريقة الاستقراء .

❖ الطريقة القياسية .

❖ الطريقة الكلية .

❖ طريقة التعلم الذاتي .

بلحاظ كفاية المعلمين وتنوع المادة العلمية واختلاف مستوى المتعلمين كما سيتضح من النصوص المبينة في الجداول (١ ، ٢) .

جدول رقم (١)

النصوص الكاشفة عن طرائق التدريس وأنواعها

في مجالس الدرس في البصرة لأشهر المدرسين

(١) طرائق التدريس العامة المؤلف والمستحدث ، لعواد جاسم التميمي ، ص : ٣٥ .

المدرس	النص	الطريقة المستخدمة في التدريس
ابن أبي إسحق ت ١١٧هـ	فرّع عبد الله بن أبي إسحق النحو وقام وتكلم على الهمز ، حتى عمل فيه كتاب مما أملاه (١)	طريقة الاستقراء والإلقاء
عيسى بن عمر ت ١٤٩هـ	كان يكتفي بمحاضراته وإملاءاته على تلاميذه (٢)	طريقة الإلقاء والمحاضرة
أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤هـ	كان يأخذ بالاطراد في القواعد وينتشد في القياس (٣)	طريقة المحاضرة والاستقراء
الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ	في محاوراته التي لا تكاد تنتهي مع تلميذه . سيبويه . والتي تدور فيه مصطلحات النحو والصرف (٤) ، واتبع . سيبويه . في ذلك طريقتين : الاستملاء العادية ، وطريقة السؤال والاستفسار (٥)	طريقة الإلقاء والحوار والمناقشة
	استتبط من علل النحو ما لم يستتبطه أحد وما لم يسبقه إلى مثله سابق (٦)	طريقة الاستقراء
عمرو بن	ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى	أغلب الطرق

- (١) المدارس النحوية ، لشوقي ضيف ، ص : ٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص : ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص : ٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص : ٣٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص : ٥٧ .

- (١) المصدر نفسه ، ص : ٤٨ .
(٢) الخصائص ، لابن جني ، ج ١ ، ص : ٣١٣ .

<p>لاسيما طريقة الاستقراء</p>	<p>سمتهم آخذين ، بألفاظهم متحلّين ، ولمعانيهم وقصودهم آمين ، جاز لصاحب هذا العلم ؛ الذي جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ، ووسم أغفاله ، وخلج أشطانه ، وبعج أحضانه ، وزمّ شوارده ، وأفاء فوارده ، أن يرى فيه نحواً مما اعتقدوا في أمثاله ، لاسيما والقياس إليه مصغ ، وله قابل ، وعنه غير متناقل ، فاعرف إذا ما نحن عليه للعرب مذهباً ، ولمن شرح لغاتها مضطرباً ، وأن سيبويه لا حق بهم (١)</p>	<p>عثمان بن قنبر سيبويه ت ١٨٠ هـ</p>
<p>طريقة الإلقاء والمحاضرة والشرح والاستقراء</p>	<p>كنت أسأل سيبويه عما أشكل عليّ منه فإنّ تصعب الشيء منه قرأته عليه ، وقد جلس بعده للطلاب يمليه ويشرحه ويبينه، وعنه أخذه تلاميذه (٢)</p>	<p>سعيد بن مسعدة الأخفس الأوسط ت ٢١١ هـ</p>
<p>طريقة الإلقاء والمحاضرة والشرح والاستقراء</p>	<p>تصدر حلقة أبو عثمان المازني يقرأ عليه الكتاب والطلاب يسمعون قراءته ... وقد مضى يحاضر الطلاب ببغداد في النحو واللغة (٣)</p>	<p>محمد بن يزيد الأزدي المبرد ت ٢٨٥ وقيل ٢٨٦ هـ</p>
<p>طريقة الإلقاء والمحاضرة والشرح والاستقراء والقياسية</p>	<p>تولى تدريس الفقه الحنفي للطلاب بمسجد الرصافة نحو خمسين عاماً ، وبجانب ذلك كان يعنى بالنحو ويفزع إليه الطلاب في تفسير عويصه وحل مشاكله ومستغلقاته (٤)</p>	<p>أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان</p>

(٣) المدارس النحوية ، لشوقي ضيف ، ص : ٩٤ .

(١) المصدر نفسه ، ص : ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٤٥ .

		السـيرافي ت هـ٣٦٨
--	--	----------------------

جدول رقم (٢)

النصوص الكاشفة عن طرائق التدريس وأنواعها
في مجالس الدرس في الكوفة لأشهر المدرسين

ت	النص	الطريقة المستخدمة في التدريس
علي بن حمزة الكسائي ت هـ١٩٧	كانت له حلقة يجلس فيها على كرسي ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، والناس يسمعون ويضبطون عنه ^(١) ، وكان يقول لخلف الأحمر عندما أراد أن يخلفه على تعليم أبناء الرشيد : (إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو وبيتين من معاني الشعر ، وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم ، فتحفظه وتعلمهم ، فقال نعم) ^(٢)	كل الطرائق لاسيما الإلقاء والمحاضرة والشرح
يحيى بن زياد الفراء ت هـ٢٠٧	والفراء من حيث تطور الدراسات القرآنية في الكوفة ، كان يمثل الدور الثاني لمدرسة الكسائي ، وهي المدرسة القرآنية النحوية التي ظهرت في الكوفة ، والتي تعتمد على الإقراء والإعراب بمعناه الاصطلاحي جميعاً ^(٣) ،	طريقة الإلقاء والمحاضرة والشرح والاستقراء

(٣) النشر في القراءات العشر ، لجزري

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ، لمهدي المخزومي ، ص : ١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٢٧ .

	<p>وقال لأصحابه : (اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً في القرآن . وجعل لهم يوماً ؛ فلما حضروا خرج إليهم . وكان في المسجد رجل يؤذن فيه ، وكان من القراء فقال له القراء : اقرأ . فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها ، ثم مرّ في الكتاب كله على ذلك يقرأ الرجل ويفسر القراء) (١)</p>	
<p>طريقة الإلقاء والمحاضرة والشرح والمناقشة</p>	<p>وكان يملي دروسه في صورة مجالسات ، يسأله أصحابه فيجيبهم ، أو يملى عليهم مسائل مما حفظه عن القراء والكسائي ، ولم يكن معنياً بالقياس ، أو مستخرجاً للعلل (٢)</p>	<p>أحمد بن يحيى ثعلب ت ٢٩١ هـ</p>

المبحث الثالث

أبرز مخرجات حلقات الدرس من الأعلام والمؤلفات

في هذا المبحث نستعرض أبرز الأعلام والمؤلفات مما أخرجته لنا المراكز الثقافية ، وما طرزته يراع هؤلاء الأعلام من مصادر أصبحت روافد ينهل منها العلماء والأدباء ، وزينت المكتبة العربية والإسلامية بجواهر تشع نوراً وألقاً ، وتسرى الناظرين ، والجداول (٣ ، ٤ ، ٥) توضح ذلك .

الجدول (٣)

جدول أبرز العلماء ممن ألف في علوم القرآن

(٣) المصدر نفسه ، ص : ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص : ١٥١ .

المؤلفات	العلماء
كتاب معاني القرآن	الكسائي ت ١٩٧ هـ ، الفراء ت ٢٠٧ هـ ، الأخفش ت ٢٢١ هـ ، المبرد ت ٢٨٥ هـ ، الزجاج ت ٣١١ هـ ، النحاس ت ٣٣٨ هـ
كتاب غريب القرآن	مؤرج السدوسي ١٩٥ هـ ، ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣٢ هـ
لغات القرآن	الفراء ت ٢٠٧ هـ ، أبو زيد هيثم بن عدي ت ٢٠٧ هـ ، الأصمعي ت ٢١٧ هـ
القراءات	خلف بن هشام البزاز ت ٢٢٩ هـ ، أبو حاتم السجستاني ت ٢٥٥ هـ ، ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، ابن مجاهد ت ٣٢٤ هـ
النقط والشكل للقرآن	الخليل ت ٧٠ هـ في النقط ، أبو حنيفة الدينوري ت ٢٨٢ هـ ، ابن الأنباري ت ٥٧٧ هـ في النقط والشكل
متشابه القرآن	مقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ ، خلف بن هشام ت ٢٢٩ هـ
مقطوع القرآن وموصوله	حمزة بن حبيب ت ١٥٦ هـ ، الكسائي ت ١٨٩ هـ
أجزاء القرآن	الكسائي ت ١٨٩ هـ ، أبو عمر الدوري ت ٢٤٦ هـ
فضائل القرآن	أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ

الجدول (٤)

جدول أبرز العلماء ممن ألف في اللغة والنحو

المؤلفات	العلماء
ما يلحن فيه العامة، المذكر والمؤنث ،	سهل بن محمد السجستاني ت ٥٥ هـ

المقصور والممدود ، الإدغام	
العين ، العروض ، الشواهد	الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ٧٠هـ
الكتاب	عمرو بن عثمان سيبويه ت ١٨٠هـ
مختصر النحو ، اختلاف العدد ، الحروف ، النوادر الكبير والأوسط والصغير	علي بن حمزة الكسائي ت ١٩٧هـ
الاشتقاق ، القوافي ، الأضداد ، العلل في النحو ، الهمز ، فعل وأفعل ، إعراب القرآن	أبو علي محمد بن المستنير قُطرب ت ٢٠٦هـ
اللغات ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، فعل وأفعل	زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ
المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، الأمثال السائرة ، غريب الحديث	القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ
ما يلحن فيه العامة ، الألف واللام ، التصريف ، العروض	أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت ٢٤٩هـ
الكامل ، الاشتقاق ، قواعد الشعر ، إعراب القرآن ، البلاغة ، التصريف	محمد بن يزيد المبرّد ت ٢٨٥هـ
الإيضاح في النحو ، مختصر عوامل الإعراب ، أبيات الإعراب	الحسن بن أحمد الفارسي أبو علي ت ٣٧٧هـ

الجدول (٥)

جدول أبرز العلماء ممن ألف في مواضيع متنوعة (١)

المؤلفات	العلماء
غريب الحديث ، التصاريف ، المقصور	أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن

(١) الفهرست ، لابن النديم ، ص: ١١٣ . ٥٤ .

والممدود ، المذكر والمؤنث	كيسان ت ٢٢٩هـ
المعاني ، عيون الأخبار، غريب الحديث	ابن قتيبة محمد بن مسلم بن قتيبة الكوفي ت ٢٦٣هـ
النبات ، الفصاحة ، البلدان ، الأخبار الطوال ، الشعر والشعراء	أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢هـ
الأنواء ، التثنية والجمع	أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير ت ٣١٥هـ

هذه بعض النقاط المضيئة في عقدٍ لامعٍ بالبريق العلمي والبحثي لقائمة ممتدة مداد البحر من العلماء في مختلف العلوم والفنون ممن تخرج من المراكز الثقافية التي حفلت بالأساتذة الأكفاء النابغين والحاذقين في طرائق التدريس التي أنتجت هكذا نجوم يفتخر بهم سكان الأرض والسماء قبل العلماء ، والوجدان قبل اللسان .

الخاتمة

عندما كانت اللغة العربية نقية صافية تشع بالبلاغة بألسنٍ فصيحةٍ . استقوت وطال قوامها شامخاً بالقرآن الكريم الذي كان من أبرز معجز النبي محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعد انتشار الإسلام وانتصاره ، ودخول الناس فيه أفواجاً ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١) دبّ اللحن إلى هذه اللغة وبدأ معول اللحن يعمل فيها ، فانبرى حماتها من العلماء في مختلف الأمصار لاسيما البصرة والكوفة يعملون ليل نهار لتخليص وحماية حبيبتهم وسر وجودهم ؛ إنها هويتهم القيمة وسط أمواج زحام الأمم وصراع حضاراتها .

استثمر العلماء الأوائل في مختلف الأمصار الإسلامية لاسيما العربية منها مساجدهم ومجالسهم ودور خلفائهم ووزرائهم وأمرائهم وأغنيائهم فأسسوا المراكز

(١) سورة النصر ، الآية الكريمة : ٢ .

الثقافية التي عَجّت بحلقات الدرس في الإقراء واللغة وفنونها والعلوم الأخرى التي كانت محط اهتمامهم في تعليم مصغرٍ وواسعٍ استخدموا فيه طرائق تدرّيسٍ متنوعة كان من أبرزها

- ❖ طريقة الإلقاء .
- ❖ طريقة المحاضرة .
- ❖ طريقة الحوار .
- ❖ طريقة المناقشة .
- ❖ طريقة الاستقراء .
- ❖ الطريقة القياسية .
- ❖ الطريقة الكلية .
- ❖ طريقة التعلم الذاتي .

كانت هذه الطرائق عاملاً مهماً ومسانداً للقرآن الكريم في حفظ اللغة العربية ونقاوتها من الشوائب التي علقت بها بسبب اللحن الذي سرى إلى جسم هذه اللغة من الأعاجم الذين اختلطوا بأبناء العرب بعد إسلامهم من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب التعامل التجاري والزراعي وغيره من النشاطات الاقتصادية الأخرى .

أخرجت لنا هذه المراكز الثقافية مخرجاتٍ كانت ولم تنزل أطواداً شامخةً حافلةً بأسرار القرآن الكريم واللغة العربية بما تحويه من نثرٍ وشعرٍ مسندٍ بنحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وإملاءٍ يسر الناظرين ... كل الناظرين .

الباحث
ديالى الخضراء
٢٠١١/٣/١٥

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أمالي الزجاجي ، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة ، القاهرة ، د.ت.
٢. تاريخ بغداد ، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ج ١٤ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٥٢ هـ . ٢٠٠٤ .
٣. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، ط ٢ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .
٤. الدرس النحوي في بغداد ، مهدي المخزومي ، وزارة الإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، مطبعة السعدون ، ١٩٧٥ م .

٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .
٦. طرائق التدريس العامة المؤلف والمستحدث ، عواد جاسم التميمي ، بغداد ، دار الحوراء ، ٢٠١٠ م .
٧. العقل العربي ، رفائيل باتاي ، ترجمة وليد خالد أحمد حسن ، بغداد ، مكتبة مصر ، دار المرتضى ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .
٨. العقل في المجتمع العراقي بين الأسطورة والتاريخ ، شاعر شاهين ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١٠ م .
٩. كنز العمال ، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المعروف بالمتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
١٠. المدارس النحوية ، خديجة الحديثي ، ط ٣ ، دار الأمل ، الأردن ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م .
١١. المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، ط ٩ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
١٢. مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ، مهدي المخزومي ، ط ٣ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .
١٣. موسوعة اللغات العربية ، سليم مطر ، مركز دراسات الأمة العراقية . ميزوبوتاميا ، بغداد ، جنيف ، دار الكلمة الحرة ، بيروت ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .
١٤. النشر في القراءات العشر ، الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ج ١ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .